

الموقف السياسي للإمام الرضا

المليئة بالمحن والمصاعب ظلت مجهرة حتى على أتباعهم. ورغم تأليف آلاف الكتب الصغيرة والكبيرة، القديمة منها والجديدة، حول حياة الأئمة (ع) إلا أن الإهتمام مازال يسود القسم الأعظم من حياة هؤلاء الأبرار، هذا إضافة إلى أن الحياة السياسية لأبرز شخصيات آل البيت (ع) والتي تشمل قرنين ونيفًا من أخطر وأدق مراحل تاريخ الإسلام، قد واجهت التحرير والإهمال والتتجاهل والعداء من قبل الكثير من المحققين والكتاب والمؤلفين. ولذا فاننا نفتقر إلى تاريخ مدون ودقيق حول حياة هؤلاء القادة العظام المشحونة بالحوادث والملامح.

إن حياة ثامن الأئمة (ع) والتي تشمل ما يقارب عشرين عاماً من تلك المرحلة المصيرية تعد من أهم وأبرز فترات المرحلة المذكورة، مما يتطلب التأمل فيها واجراء التحقيقات حولها.

وأهم بعد لم يلتفت إليه بشكل جدي في حياة الأئمة (ع) هو عنصر «النضال السياسي الحازم». فمنذ بدء التصف الثاني من القرن الهجري الأول، والذي امتنع في الخلافة الإسلامية – علانية – بالأحابيل الطاغوتية، وتبدل الإمامية الإسلامية إلى سلطة طاغوتية ظالمة، بدأ آئمه أهل البيت (ع) بتصعيد نضالهم السياسي وفق أسلوب يتناسب مع الأوضاع والظروف. وكان أهم هدف لهذا النضال، هو إقامة النظام الإسلامي وتأسيس حكومة قائمة على الإمامة.

ومما لا شك فيه أن تبيين وتفسير الدين على ضوء رأي أهل البيت (ع) وإزالة التحرير عن المعارف

تقديم فيما يلي كليلة حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية في إيران التي ألقاها في المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام الذي عقد في مدينة مشهد المقدسة خلال التصف الثاني من شهر ذي القعدة الماضي.

إن إقامة المؤتمر العلمي عن حياة ثامن الأئمة (ع) بجوار مرقده الشريف، وتزامناً مع ذكرى ميلاده السعيد، يعتبر خطوة جديدة لرسم معلم شخصية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والتعرف على الحياة المفعمة بالحماس والمشقات لهؤلاء القادة العظام. و يجب أن نعترف هنا بأن حياة الأئمة (ع) لم تعرف بالشكل المطلوب، كما أن منزتهم الجاهادية

السيف البخاري ينخر في كيان جهاز الخلافة، ويسلب راحته على الدوام. وعندما استشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نتيجة سقيه السم بعد أن قضى سنتين طويلاً في سجون هارون الرشيد، سادت الدكتاتورية جميع أنحاء المنطقة التي كان يحكمها العباسيون. وفي ذلك الجو من الكبت والقمع الذي وصفه أحد أنصار الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بأنه: «كان يقطر فيه الدم من سيف هارون» في ذلك الجو استطاع إمامنا المعمص والمظيم بفطنته وحكمته أن يصون مدرسة أهل البيت من الأخطار التي كانت تهدى بها، ويعن من تشتت أصحابه أو شعورهم باليأس والإضطراب، كما أستطاع باللجوء إلى أسلوب «التقية» أن يحافظ على حياته التي كانت في الحقيقة محور أتباعه، ويواصل نضاله في عهد أكبر الخلفاء العباسيين قوةً وفي مرحلة استقرار وثبات حكومة ذلك النظام.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأنَّ التاريخ لم يستطع أن يجسّد لنا بوضوح مرحلة السنوات العشر من حياة ثامن الأئمة في زمان هارون وبعده، أي خلال السنوات الخمس من الحرب الداخلية بين خراسان وبغداد، ومع ذلك يمكن من خلال التدبر أن نفهم بأنَّ ثامن الأئمة كان في تلك المرحلة يواصل نفس النضال الذي بدأه أهل البيت (ع) بعد واقعة عاشوراء، دون أي تباين من حيث الهدف وجهة النضال.

وبعد أن فرغ المؤمن في عام ١٩٨ من حربه مع الأمين، وسيطر على السلطة، أقدم قبل أي شيء على ضرب العلوين ونضالات أتباع مدرسة أهل

الإسلامية وأحكامها، وكان بدورها هدفاً مهماً للجهاد أهل البيت، لكن وطبقاً للقرآن والشاهد الحتمية، فإنَّ جهاد أهل البيت لم يقتصر على هذه الأهداف، إذ أنَّ أكبر هدف له كان يتمثل بتشكيل حكومة علمية وإقامة نظام إسلامي عادل. ولهذا السبب تحمل الأئمة وأنصارهم. الكثير من الآلام في حياتهم المرة والجهاد، ولقد بدأ الأئمة (ع) بعد عهد الإمام السجاد (ع) وبعد واقعة عاشوراء بالعمل لتوفير الأرضية المناسبة لهذا الهدف العظيم.

وخلال المرحلة التي دامت مائة وأربعين سنة بين واقعة عاشوراء ولالية ثامن الأئمة (ع) فإنَّ التيار الذي كان يسير في ركب أئمة أهل البيت، كان يعتبر على الدوام - من أكبر أعداء أحجهزة الخلافة وأشدُّها خطورة. في تلك المدة توفرت الظروف المناسبة لمرات عديدة، واقتربت نضالات مدرسة أهل البيت (ع) التي يلزم تسميتها بـ«النهضة العلوية» من الانتصارات الكبيرة، لكن وفي كل مرة كانت تظهر موانع جديدة في طريق النصر النهائي، وكانت أكبر الضربات توجه - عادةً - نحو المركز الرئيس هذه النهضة، أي شخص الإمام في كل زمان، فيعمل على زجه في السجن أو اسقاطه شهيداً، وعندما كان يصل الدور للإمام الآخر كان الظلم والإضطهاد يصلان إلى حد تحتاج معه عملية إعداد الأرضية إلى فترة أطول.

لقد تخطى ثامن الأئمة (ع) العواصف الشديدة والمراحل الصعبة والشاقة بذكاء وصبر وبسالة، ولم يستطع الخلفاء الامويون والعباسيون في أي مقطع زماني أن يقضوا على الإمام بقضائهم على الإمام. وبقي هذا

في تلك المعركة نزل المؤمن إلى الساحة بجميع امكانياته. نعم، لقد نزل إلى الساحة بأقصى ذكائه وفطنته وتدبره، بحيث انه لو كان ينتصر و يستطيع أن ينفرد ما خطط له، لكنـ بلاشكـ يحقق الهدف الذي لم يستطع أي من الحلفاء الأمويين والعباسيين منذ السنة الأربعين للهجرة، أي منذ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب (ع) ان يتحقق، وذلك الهدف كان متمثلاً بالقضاء على جذور مدرسة أهل البيت، وعلى تيار المعارضة الذي كان يشكل علىـ الدوامـ شوكـة في عيون أقطاب الحكومات الطاغية.

غير أن الإمام الرضا (ع) وبتدبره الإلهي انتصر على المؤمن، وجعله يتراجع في ساحة المعركة السياسية التي أوجدها بنفسه. فلم تضعف مدرسة أهل البيت، وإضافة إلى ذلك أصبحت تلك الفترة التي امتدت إلى عام (٢٠١) هـ. ق، أي العام الذي تحققت فيه ولادة عهد الإمام (ع) من أكثر الأعوام بركةً في تاريخ مدرسة أهل البيت (ع) حيث نفتح روحًا جديدة في نضالات العلوين. كل ذلك بفضل التدبر الإلهي لثامن الأئمة وأساليبه الحكيمية التي جأ إليها في ذلك الامتحان الكبير.

ولكي نسلط ضوءاً أكبر على هذه الحادثة المدهشة، نرى من اللازم الإشارة ولو باختصار إلى الأساليب التي انتهجها كل من المؤمن والإمام الرضا (ع) في تلك الحادثة.

لقد كان المؤمن يريد من وراء دعوته الإمام الشامن (ع) للمجيء إلى خراسان، تحقيق جملة من الأهداف، منها وأهمها: تبديل ساحة النضال

البيت. وقد أخذ بنظر الاعتبار تجارب جميع أسلافه، التجارب التي حصدت حركة تلك النهضة وعمقتها وسعتها من جهة أخرى. لقد أدرك المؤمن أن الظلم الهارق في رغم سُمِ الإمام لم يستطعـ مطلقاًـ أن يمنع من الإنفاضات والنضالات السياسية والعسكرية والإعلامية والفكرية لأتباع أهل البيت (ع). ولما لم يكن يمتلك نفس قوة أبيه وأسلافه من الحكماء، وكان يرى في الحروب الداخلية بين بني العباس تهديداً للسلطة العباسية، فإنه أحسن بضرورة متابعة خطر نهضة العلوين بجدية أكبر، ومن المحتمل أن المؤمن كان يفكر بشكل واقعي في تقييمه لخطر أتباع أهل البيت على الحكومة. فخلال ١٥ سنة، أي منذ استشهاد الإمام السابع حتى ذلك اليوم، وخاصة خلال السنوات الخمس من الحرب الداخلية، استطاع تيار أهل البيت أن يعد نفسه إلى درجة كان مهيئاً معها لإعلاء رأيه الحكومة العلوية.

لقد أحسن المؤمن بهذا الخطر، وقرر التصدي له على الفور، ولذلك وجّه دعوة للإمام الثامن للقدوم إلى خراسان من المدينة، وأجبره على قبول ولادة العهد.

وهنا نرى من الضرورة الإشارة باختصار إلى ولادة العهد التي افتقرت على الإمام الرضا عليه السلام.

لقد رأى الإمام الرضا (ع) نفسه في تلك الفترة أمام تجربة تاريخية عظيمة، وأمام معركة سياسية خفية بحيث إن انتصارها أو فشلها كان قادرًا على تغيير مصير أتباع أهل البيت (ع).

الشوري الشديد الى نشاط سياسي لا ينجم عنه أية أحطوار. ومثلاً قلنا فإنَّ أتباع أهل البيت (ع) كانت لهم نضالات متواصلة ومكثفة في ظل «التفية». وهذه النضالات التي كانت متزامنة مع ميزتين، لعبتا دوراً كبيراً في ضرب سلطة الخلافة. وتلكما الميزتان تمثلتا بالظلمومة والقدسية.

لقد كان أتباع مدرسة أهل البيت (ع) ومن خلال الاستناد الى هذين العاملين، يوصلون الى قلوب الناس وأذهانهم، تصوراتهم وأفكارهم وآراءهم التي كانت متمثلة بالتفسير وتبين الإسلام على ضوء آراء أئمة أهل البيت (ع)، ويستقطبون اليهم من كانت في قلبه ولو ذرة واحدة من الإيمان. وهذه الوسيلة بدأت مدرسة أهل البيت تنمو يوماً بعد آخر، وتحتل مكانة مرموقة لها في عالم الإسلام. نعم ان المظلومة والقدسية استطاعتاه من خلال التسلح بآراء وأفكار مدرسة أهل البيت (ع) ان تقودها في الإنتفاضات والحركات المسلحة ضد جهاز الخلافة في كل مكان وزمان.

كان المؤمن يعتزم سلب هذا الإستمار من هؤلاء المناضلين، وجزء الإمام من ساحة النضال الثوري الى الساحة السياسية، بغية القضاء على ديمومة حركة مدرسة أهل البيت التي تخضت عن ذلك الإستمار واتسعت بمرور الزمن. ولو كان المؤمن قد نجح في خطته، لكان يسلب هؤلاء الميزتين المؤثرتين اللتين أشرنا اليهما، إذ أنَّ الجماعة التي يكون قائدتها من أبرز أفراد الخلافة، وهي عهد ملك مطلق العنان وله حق التصرف في أمور البلاد لن يكون لا مظلوماً ولا مقدساً.

وهذا التدبر كان يستطيع أن يضع فكر مدرسة أهل البيت في صف العقائد والأفكار التي كانت رائجة آنذاك وتنغيرها الى فكر غير معارض للنظام. ثانياً: إثبات بطلان إدعاءات أتباع مدرسة أهل البيت (ع) حول كون الخلافتين الأممية والعباسية غير شرعية، وإضفاء صبغة الشرعية عليها. وكان المؤمن يسعى بهذه الأسباب لاثبات أنَّ ادعاء الشيعة حول عدم شرعية الخلافة المفروضة والذي يُعدُّ من المبادئ العقائدية لمدرسة أهل البيت، لا أساس له من الصحة، وينشاً من الضعف والشعور بعقدة الحقارة.

وكان المؤمن يريد أن يؤكد للناس بأنه لو كانت خلافة الآخرين غير شرعية وظالمة، فإنَّ خلافته هو الآخر يجب أن تكون غير شرعية، في الوقت الذي أثبت الإمام علي بن موسى الرضا عَبَّانِصَامَهُ عَلَى حُكْمَةِ الْمُؤْمِنِ، أثبت شرعية تلك الحكومة. وعلى هذا الأساس فان خلافة البقية كانت شرعية، وهذا ما يخالف جميع ادعاءات أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

نعم، كان المؤمن يريد بهذه الوسيلة أن يبادر الإمام (ع) للتأكد على شرعية الحكومات السابقة، ويزول نتيجة لذلك أحد الأركان العقائدية لمدرسة أهل البيت (ع) والمتمثل بالنظر الى الحكومات السابقة على أنها حكومات جائزة وظالمة.

والى جانب ذلك فان ادعاءات أتباع مدرسة أهل البيت فيما يخص الرزء والتقوى وعدم اعتناء الأئمة (ع) بالدنيا كان يفقد مفهومه بذلك العمل، ويتم التصور آنذاك بأنَّ الأئمة لا يغضون النظر عن

الدنيا إلأ حينا لا يستطيعون الوصول إليها، ولكن عندما تفتح أبواب جنة الحياة لهم يسارعون لدخولها مثلما يفعل الآخرون!

ثالثاً: السعي بهذه الوسيلة لتجميد نشاط الإمام (ع) (وهو الذي كان محوراً للمعارضة والنضال) وبالتالي السيطرة على جميع الطوائف، مما كان يحقق للمؤمن نصراً كبيراً لم يتحققه من قبل أي من أمثاله في بني أمية وبني العباس.

رابعاً: فرض الحصار على الإمام الذي كان عنصراً شعبياً وقبلة للأمال ومرجعاً للناس، والتقليل من منزلته الاجتماعية، ووضع الحواجز بينه وبين الناس، بل بيته وبين مشاعر الناس وأحساسهم.

خامساً: سعي المؤمن بهذه الوسيلة أن يكتب له شخصية وسمعة. وكان من الطبيعي في ذلك الزمن ~~عاتيطة~~ ~~عاتيطة~~ ~~عاتيطة~~ أن ينظر الناس باحترام إلى المؤمن باعتباره عين أحد آل بيت الرسول الأكرم (ص) وشخصية مقدسة ومحظوظة ولها ولية للعهد، وبعداً إخوته وأبناءه عن هذا الإمتياز، هذا إضافة إلى أن المتعارف عليه هو ان اقتراب شخصية دينية من أخرى غير دينية يقلل من شأن تلك الشخصية الدينية، فيما يزيد من شعبية واحترام الشخصية غير الدينية.

سادساً: كان المؤمن يتصور أنه بعمله هذا يستطيع أن يجعل من الإمام مبرراً لأعماله. وطبعي أن شخصاً عالماً ومتقياً مثل الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كانت له منزلة رفيعة، كان يستطيع أن يبرر ما يقوم به المؤمن من ممارسات وذلك لاعتماد الناس عليه وثقته الكبيرة به وباعتباره

من آل بيت الرسول الأكرم (ص). ولو كان يعمل على تبرير ممارسات الحكومة لما استطاع أي صوت معارض التقليل من شأن الحكومة، وإضافة إلى ذلك كان المؤمن يفكر بأهداف أخرى.

ولذا نرى أن هذا التدبير هو بدرجة من العمق يحيث أن شخصاً غير المؤمن كان لا يستطيع القيام به. ومن هنا فإن أصدقاء المؤمن والمقربين إليه كانوا يجهلون أبعاد ذلك التدبير وجوانبه. ونحصل من بعض الوثائق التاريخية أن الفضل بن سهل (الذي كان وزيراً وقائداً عاماً ومن أقرب المقربين إلى المؤمن) كان لا يعلم بهذه السياسة. ولكي يتحقق المؤمن أهدافه ببساطة ولا يواجه أية عقبات، كان يخلف قصصاً كاذبة حول دوافع خطوطه تلك.

ويلزم القول أن سياسة المؤمن لم تكن

وفي المقابل، تصرف الإمام الرضا عليه السلام بشكل أحبط فيه جميع المحاولات والخطط الجهنمية للمؤمن، وسلب منه المبادرة.

وبذلك فإن المؤمن ورغم المحاولات التي بذلها والوقت الذي صرفه لم يستطع أن يحقق أيّاً من أهدافه، بل وان السياسة التي انتهجها ادت إلى نتائج عكssية، يحيث انه وبعد فترة وجيزة تحلى عن سياساته السابقة، وكأنه اسلافه بـأ إلى الأسلوب القديم، أي أسلوب التصفية الجسدية، وكشف عن وجهه الحقيقي وشخصيته الفاسدة والقدرة.

والآن نشير إلى السياسة التي انتهجها الإمام الرضا عليه السلام ازاء تلك القضية:

١ - عندما وجهت دعوة للإمام (ع) ليأتي إلى

نعم، كان الناس يقارنون بين هاتين القضيتين، ويخرجن بنتائج غير التي كان يفكّر بها المؤمن.

٣— اشترط الإمام (ع) عند قبوله ولية العهد أن لا يتدخل في أي من شؤون الحكومة، ولا يبدى وجهة نظره حول الحرب أو الصلح أو العزل والتعيين. وقد وافق المؤمن على هذا الشرط متصرّفاً انه سيتمكن فيما بعد من إرغام الإمام على ممارسة وظائفه الحكومية. واضح ان تحقق هذا الشرط، كان يحيط بمحطّات المؤمن ويقضي على القسم الأعظم من أهدافه.

ورغم ان الإمام عُيِّن ولِيًّا للعهد، وكان يحظى بإمكانيات كبيرة، إلا انه كان يتصرف بشكل يفهم منه انه معارض لجهاز الخلافة، وإلا لكان مارس ولو جانباً بسيطاً من مسؤولياته. وبديهي انه عندما يتعد أحد عناصر الحكومة عن جميع مسؤولياته، فهذا يعني انه لا يؤيد الحكومة. ولذلك أحسن المؤمن بهذا الأمر، وحاول مراراً أن يجعله يمارس الوظائف المخولة له، لكنه (ع) أبى في كل مرة.

وجاء في الروايات أنَّ «معمر بن خلاد» قال عن لسان ثامن الأئمة (ع) إنَّ المؤمن طلب من الإمام أن يرسل كتاباً إلى الناس في المناطق المضطربة ويدعوهم لطاعة الحكومة، غير أنه (ع) أعلن استنكافه وأعاد الشرط السابق إلى ذهن المؤمن.

وهناك أمثلة كثيرة أخرى، وعلى سبيل المثال فإنَّ المؤمن طلب من الإمام الرضا (ع) في أحد الأعياد أن يوم الناس مؤكداً له أن إمامته للصلة إنما تزيد من عبته في قلوب الناس، لكنَّ الإمام رفض،

خراسان من المدينة فإنه (ع) تصرف بشكل عرف الناس معه ان المؤمن يريد إبعاده رغمأ عنه، حيث كان (ع) يظهر استياءه من المؤمن ب مختلف الصور، مثلاً أظهر ذلك عند دعاهه لحرم الرسول الأكرم (ص) وعند دعاهه لعائلته خلال خروجه من المدينة، وعندما طاف حول الكعبة. كل ذلك ليؤكد ان سفره سينتهي إلى الموت. وهذا ما أثار غضب الناس على المؤمن باعتباره سليمان امامهم، ويريد أن يقتله.

٢— عندما اقترحت ولية العهد على الإمام (ع) فانه رفضها، ولم يقبلها إلاً عندما هدده المؤمن بالقتل. وقد علم الناس بهذه القضية، الى درجة ان عناصر الحكومة التي كانت تتجاهل الهدف من وراء سياسة المؤمن، بدأت تصريح هنا وهناك قائلة بأنَّ الرضا (ع) لم يقبل الحكومة. حتى ان الفضل بن سهل قال أيام بعض أفراد الحكومة انه لم يرَ الخلافة قاطعاً عن جميع مسؤولياته، فهذا يعني انه لا يؤيد الحكومة. ضعيفة بهذه الصورة، لأنَّ «أمير المؤمنين» يقترح الخلافة على الإمام الرضا (ع) لكنه يصر على رفضه لتلك الخلافة.

وكان الإمام متى ما سُنحت له الفرصة يؤكد انه أُجبر على قبول ذلك المنصب، ويقول انني هُددت. وكان من الطبيعي أن يسمع الناس بهذه التصرّفات ويتناقلوها فيما بينهم، ويتعجبون كيف أنَّ المؤمن حارب أخاه مدة سنتين من أجل السلطة، بل وقتلها، وجاء برأسه إلى المدينة ليعرضه للناس هنا وهناك ، وهو هواليوم يعرض الولاية على شخص مثل علي بن موسى الرضا (ع) لكنه يرفض ولا يقبلها إلاً عندما يُخبرُ عليها.

غير ان المؤمن لها الى التهديد بما دعا الإمام لقبول طلب المؤمن شريطة إقامة الصلاة بأسلوب الرسول الأكرم (ص) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). وبذلك اغتنم الإمام الفرصة مما جعل المؤمن ينرم على فعله ويتراجع عن قراره وينع الإمام من اصحاب عمله.

٤ - والإمام (ع) بقبوله ولایة العهد أقدم على حركة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأئمة (ع) بعد انتهاء خلافة أهل البيت (ع) في السنة الأربعين للهجرة حتى ذلك اليوم بل وحتى أواخر عهد الخلافة. وقد تمثلت الحركة بالإعلان عن الإمامة وتجاوز التقى وأيصال نداء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الى مسامع جميع المسلمين، حيث بدأ يوصل الى المساجع -علانية - ما أخفي خلال (١٥٠) عاماً.

ان مناظرات الإمام بين اوساط العلماء وفي تمحض قيامها عليه السلام بالمدن المعروفة بمحبها لأهل البيت مثل الكوفة وقم، غير ان الإمام وفي نفس المسير المحدد لم يترك فرصة إلا وأستغلها لتفوية علاقاته مع الناس. في «الأهواز» تحدث عن آيات الإمامة، وفي البصرة واجه حب الناس له وتعاطفهم معه، وفي نيسابور ترك حديث السلسلة ذكرى خالدة. والي جانب ذلك كان يغتنم كل فرصة تسنح له بهدف توعية الناس وارشادهم، وفضح الحكومة وأساليبها ومارساتها.

٦ - شعر أتباع مدرسة أهل البيت (ع)

بالارتفاع لخطوط إمامهم، كما أنَّ المترددين الذين كانوا يقضون حياتهم في الجبال والوديان والقرى النائية متحملين المصاعب والمشقات، بدأوا - ونتيجة دعم الإمام لهم - يحظون حتى باحترام عناصر الحكومة في المدن المختلفة؛ مثلاً نجد الشاعر

وعندما سمع الناس في المدينة وفي أكثر المناطق الإسلامية بـ «ولایة عهد» الإمام علي بن موسى الرضا بدأوا يتحدثون عن فضائل أهل البيت (ع).

فأهل البيت الذين وجّهت لهم خلال سبعين

المجاهي دعبل الذي لم يساوم أي وزير وأمير، ولم يحمل في أحجزتهم، ولم يسلم أي من عناصر جهاز الخلافة من لسانه، وكان لسنين طويلة مشرداً بين المدن والقرى، وقد استطاع أن يلتقي بالإمام وينشد أروع قصيدة له بين فيها أحقيبة النهاية العلوية ضد الخلفيين الأموية والعباسية، وتلك القصيدة انتشرت خلال مدة قصيرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، إلى درجة أنَّ دعبلًا حين عاد من عند الإمام، التقى مصادفة في الطريق برئيس أحدى العصابات فسمعه يردد تلك القصيدة.

والآن لنلق نظرة أخرى على الوضع العام الذي كان يسود ساحة هذا الصراع حتى الذي أوجده المؤمن بنفسه والآسباب التي دفعت بالإمام الرضا عليه السلام لدخول تلك الساحة. فبعد عام من إعلان ولادة عهد ثامن الأئمة، كان الوضع القائم بالصورة التالية:

المؤمن وفر للإمام علي بن موسى الرضا (ع) جميع الإمكانيات وحرمة لأحد لها، لكن الجميع كانوا يدركون جيداً أن الإمام لا يتدخل في أي من شؤون الحكومة، ولا شأن له بما يخص جهاز الخلافة، وأنه وافق على ولادة العهد شريطة عدم تدخله في ما يهم الجهاز من أمور.

وكان المؤمن لا يترك فرصة إلا ويتحدث فيها عن فضائله (ع) وتقواه ونسبه الرفيع و منزلته العلمية، لكنَّ هذا الأمر لم يساعدُه على كسب وذ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو حتى أصواتهم، حتى إن الإمام (ع) أصبح يبعث الأمل والطمأنينة في نفوس هؤلاء. أما بقية الأقطار الإسلامية، فقد

تغيرت الحالة فيها، حيث بدأ الحديث يدور هنا وهناك عن فضائل الإمام الرضا وآبائه المظلومين والمعصومين، بعد أنْ كان لا يتجزأ أي شخص على أن يتحدث عن أهل البيت (ع).

وخلاصة القول إنَّ المؤمن لم يجد شيئاً في لعبه تلك، وفي نفس الوقت خسر الكثير الكثير، وأصبح يتوقع أنْ يفقد ماتبقى لديه.

وهنا أحسنَ المؤمن بالفشل، وقرر أن يعيش عن الخطأ الذي وقع فيه، وأخيراً رأى أنه من الضرورة اللجوء إلى السلاح السابق الذي جاؤه إليه أسلافه، أي أسلوب التصفية الجسدية.

وطبيعي أنَّ قتل الإمام في مثل تلك المرحلة لم يكن أمراً ميسوراً، وتدل الشواهد والقرائن على أنَّ المؤمن جاؤه إلى أساليب أخرى قبل أن يغتال الإمام الرضا (ع) عسى أن يجد له مخرجاً من الورطة التي يرى الناس عبيداً له.

وحين نقل «أبا الصلت» هذا الخبر للإمام الرضا، رفع الإمام عليه السلام يده للدعاء واستشهد الباري جل وعلا عليه وعلى آبائه الطاهرين إنهم لم يقولوا ذلك وإن ذلك من انماط الظلم بحق أهل البيت عليهم السلام.

ومن التدابير الأخرى التي اتخذت ضد الإمام (ع) هو تشكيل المناظرات العلمية تصوراً من المؤمن بأنَّ الإمام لا بد وأنْ يفشل في تلك المناظرات وخرج مهزوماً. لكن النتيجة كانت عكسية، فكلا

هذا ونرى من الضرورة أن تخصص الجامعة الإسلامية الرضوية التي افتتحت تزامناً مع ذكرى ميلاد ثامن الأئمة (ع) جزءاً من نشاطاتها ومحاولاتها لتبين هذا التاريخ، وترسم للأجيال الحاضرة والقادمة تاريخ الحياة السياسية لأئمة أهل البيت (ع) مع الأخذ بنظر الإعتبار عنصر النضال الذي يشكل محوراً أساسياً لهذا التاريخ.

إنَّ تأسيس الجامعة الإسلامية العظيمة في هذه المدينة المقدسة وفي هذا اليوم الرائع يبعث الأمل في النفوس، وفي الختام انهزَّ الفرصة لأنَّ تقدم بالشكر العميق لمسؤولي الروضة الرضوية المقدسة الذين أحسوا بهذا النقص وعملوا على سده، وأسأل الله أن يوفر مستقبلاً زاهراً مفعماً بالعلم والتقوى والفضيلة لطلاب هذه الجامعة، ويوفق جميع الأساتذة والإداريين فيها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

كانت المناظرات تستمر، كانت القدرات العلمية للإمام تبرز بشكل جلي، مما شعر المؤمن باليأس والفشل والخذلان.

وتشير الروايات إلى أنَّ المؤمن خطط أكثر من مرة بواسطة عمه ومرتزقه لقتل الإمام الرضا، بل وألقاه في السجن، لكنَّ هذا الأسلوب لم يعد بالفائدة له وزاد من مكانة الإمام (ع).

وبعد أن فشل المؤمن في جميع مؤامراته، قرر أن يسمِّ الإمام بيده ويتخلص منه بهذه الوسيلة، وبالفعل أقدم في عام ٢٠٣ (هـ. ق) على قتل الإمام الرضا (ع)، أي بعد سنتين على مجيئه (ع) إلى خراسان من المدينة.

كانت هذه نظرة عابرة على جزء هام من الحياة السياسية لأئمة أهل البيت (ع) خلال (٢٥٠) عاماً، أملاً في أن يجري المحققون والمفكرون والمؤرخون دراسات جديدة على القرون الأولى للإسلام.

